الشيخ الفضيل الورتلاني ودوره الفكري والإصلاحي بالجزائر وفرنسا (1931م_1959م)

EL Cheikh Fodil El-ouartalani and his intellectual and reforming role in Algeria and France(1931-1959)

زرارقــة علي *

جامعة ابن خلدون – تيارت– الجزائر

zerarka.ali2018@gmail.com

تاريخ الارسال: 2020/04/15 تاريخ القبول : 2020/07/02 تاريخ النشر: 2020/12/31

ملخص:

يعتبر الشيخ الفضيل الورتلاني من بين الشخصيات الإصلاحية التي عرفتها الجزائر خلال النصف الأول من القرن العشرين،حيث استطاع الشيخ الفضيل الورتلاني بناءا على تكوينه الديني واعتمادا على مبادئه الفكرية والإصلاحية المستمدة من ملازمته لشيوخ جمعية العلماء المسلمين العمل على نشر الأفكار التوعوية ذات البعد الإصلاحي في جانبه الديني و الاجتماعي وحتى السياسي داخل الجزائر وخارجها، مثلما كان الحال بفرنسا، وذلك من خلال نشره للعديد من المقالات في الكثير من الصحف وإلقائه للعديد من الخطب الهادفة لإصلاح المجتمع، وتكوين جيل ذو وعي ديني وسياسي يمكنه من مجابهة الأساليب الاستعمارية الرامية إلى طمس مقومات الشخصية العربية الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: الفضيل الورتلاني، الافكار، الإصلاح، الوعي، الوطنية ،الجزائر، فرنسا.

* المؤلف المراسل

Abstract:
El sheikh el fodil El ouartalani is considered one of the personality who brought reforms to Algeria during the first half of the 20th century, he was able to build from his religious training and based on his Sensitization ideas and his reforms brought back from the teachers of the association of Algerian Muslim scholars, he worked on the publication of awareness-raising ideas which have a distant goal aiming at the side and social and even political reform inside Algeria and outside as was the case in France, where he published articles in several newspapers. he also made speeches aimed at social reform as well as the formation of a generation that can acquire a religious awareness and political which will allow him to confront the means of colonialization to eliminate the principles of the Arab and Muslim characters.
***key words**:* el fodil El ouartalani- ideas- The Reformation- Sensitization- national- Algerie -la france.

مقدّمة:

يعتبر دور النخب الإصلاحية ببلدان المغرب العربي عامة والجزائر خاصة من أهم الأدوار التي عملت على مواجهة المستعمر فكريا من جهة و تكوين جيل ذو وعي ديني وسياسي من جهة أخرى، يقوم على مجابهة الفكر الاستعماري الرامي إلى طمس مقومات الشخصية العربية الإسلامية للمجتمعات المغاربية، حيث نجد أن هاته النخب وبفكرها الإصلاحي سعت إلى إفراز قيادات وزعامات تولت تسيير الحركة الفكرية والوطنية ببلدانها ، وتقديم إسهامات عملت على دفع عجلة الحركة الوطنية في سياقها الإصلاحي وحتى السياسي، ونجد من بين هاته الشخصيات الشيخ الفضيل الورتلاني الذي له اثر جلي في الوسط الإصلاحي والفكري بالجزائر وخارجها،ولعل ابرز منطقة استطاع الشيخ ممارسة نشاطه الإصلاحي بها هي فرنسا على اعتبار أنها احتوت الكثير من الجالية الجزائرية والإسلامية من جهة ومحاولة الفضيل الورتلاني لحفاظه على هوية هؤلاء المسلمين من جهة أخرى ،و من بين الأسباب التي جعلتنا نتطرق لهذا الموضوع هو محاولة التعرف على خصوصية الإسهامات الإصلاحية والفكرية التي قدمها الشيخ الفضيل الورتلاني لمجابهة الفكر الاستعماري، و مدى تحقيق تلك المساعي والأهداف التي دعا إليها الشيخ،أما

أهمية الموضوع فتكمن في الدور الذي لعبته هاته الشخصية ذاتها داخل الجزائر وخارجها،وكذلك كون الفكر الإصلاحي إحدى الوسائل التي اعتمدها الجزائريون لمواجهة الاستعمار وأساليبه، وهنا يمكننا طرح إشكالية وهي:من هو الشيخ الفضيل الورتلاني؟وفيما تمثل نشاطه الفكري والإصلاحي بالجزائر وفرنسا؟والى أي مدى ساهم الورتلاني في دفع عجلة الحركة الإصلاحية بالجزائر ؟و للإجابة على ذلك اعتمدنا في مقالنا هذا أسلوبا وصفيا لإبراز حياة وسيرة الشيخ الفضيل الورتلاني و كذا توضيح مظاهر نشاطه الفكري والإصلاحي في ظل التضييق الاستعماري داخل وخارج الوطن،كما استعملنا المنهج التاريخي التحليلي في تفسير بعض الأسباب والأبعاد الحقيقية التي كانت وراء جهود الشيخ الفضيل الورتلاني ومدى نجاح مساعيه الإصلاحية.

أولا/ شخصية الفضيل الورتلاني وآثاره:

1- مولده ونشأته:

ولد المرحوم السيد حسنين الفضيل بن محمد السعيد بن فضيل المعروف باسم (الشيخ الفضيل الورتلاني) في06 فبراير عام 1900م بقرية انو بلدية بني ورتلان، دائرة بني ورتلان ولاية سطيف [1]، ينتمي الشيخ الفضيل الورتلاني إلى اسرة عريقة اشتهرت بالعلم[2]، ويتصل نسبها بسلالة الأشراف ولقبه العائلي حسنين[3]، اشتهر منها جده الأعلى الحسين الورتلاني العالم والرحالة صاحب الرحلة المشهورة المسماة "الرحلة الورتلانية"[4]، حيث حفظ القرآن الكريم في زاويتهم[5]، وتلقى المبادئ الأولية في الدين واللغة العربية في بلدته[6]، كما تلقى منذ طفولته المبكرة في أحضان أسرته تربية إسلامية أورثته الحفاظ على تعاليم الدين الحنيف والتشبث بأهدافه ونشأ على احترام كرم الأخلاق والمثل العليا والقيم الرفيعة.[7]، وهكذا كانت هاته هي الأرضية التي انطلقت منها حياة الأستاذ الورتلاني التي رسمت نهجه وحددت اتجاهه الإصلاحي[8].

2- حياته العلمية:

تلقى الفضيل الورتلاني في مسقط رأسه دراسته الأولى على علماء اشتهروا بالفقه وعلوم القرآن[9]، وقد تتلمذ على يد والده وشيوخ أجلاء من بينهم السعيد أبهلول، ومحمد الصغير،وغيرهم[10]،فلما بلغ سن العشرين، جند للخدمة العسكرية الإجبارية فكانت المدة التي قضاها في الجيش الفرنسي فرصة له لإثراء تجاربه في الحياة، واكتشاف ما كان يعانيه أبناء وطنه من تمييز واحتقار من طرف المستعمرين الفرنسيين[11]، بعدها اتجه سنة 1928م إلى قسنطينة أين التحق بسلك المتعلمين، وذلك لمزاولة تعليميه الثانوي على يد الشيخ عبد الحميد بن باديس[12].إذ لازمه هناك قبل أن يصبح مساعدا له في التدريس عام 1934م[13].

كما اختاره الإمام ابن باديس مساعدا له في التدريس لبعض المناهج المقررة في بداية السنة الدراسية 1933م/1934م فنهض بالمهمة أيضا خير نهوض[14]،فتأثر بمناقب الشيخ عبد الحميد بن باديس الخطابية ومواقفه في محاربة الضلال[15]،وفي عام 1934م انهي الفضيل الورتلاني الدروس المقررة لطلاب ابن باديس بتفوق بارز، ونزعت نفسه إلى مواصلة الدراسة بجامع الزيتونة[16]، فسافر إلى تونس لكنه عاد بعد فترة إلى شيخه يقول: **"إنني لم أجد عند غيرك ما يرغبني في التتلمذ عليه"**[17]،فلازم إمام النهضة عبد الحميد بن باديس سنوات فاكتسب منها الصراحة في الرأي، والجرأة في النقد، والاحترام للمبادئ[18].

3–وفاته و آثاره:

شاء القدر بعد عمر حافل بجلائل الأعمال أن تكون النهاية في انقرة يوم 12 مارس 1959م وفي سنة 1987م نقل رفاة الأستاذ الفضيل من انقرة إلى مسقط رأسه ببني ورتلان بالجزائر، وكان يوما مشهودا وقف الناس حول نعشه ووجوههم إلى الأرض وأفكارهم إلى الوراء يستعيدون تاريخ هذا الرجل[19]، وترك الفضيل الورتلاني الكثير من المقالات السياسية والأدبية والفكرية والتي تميزت بحدة وجمالية الأسلوب ، وهذه المقالات مبثوثة في العديد من الصحف خاصة في المشرق ومنها الصحف المصرية "منبر الشرق"،

و"الدعوة" و"الإخوان المسلمون" و"مصر الفتاة" و"الكتلة" و"المصري"، وكذلك اللبنانية مثل "بيروت المساء" و"الأنباء"،وكذلك مجلة "المنار" السورية و"الصباح "التونسية وغيرها من الصحف والمجالات و الجرائد دون أن ننسى البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين[20]، وقد تولت جمعية "عباد الرحمن" اللبنانية جمع بعض هذه المقالات ونشرها في كتاب بعنوان الجزائر الثائرة في 1956م[21].

ثانيا/ النشاطات الفكرية والإصلاحية للشيخ الفضيل الورتلاني بالجزائر و فرنسا:

1- نشاطه الفكري والإصلاحي بالجزائر:

1-أ/ نشاطه في مجال الدعوة والإصلاح:

كان الأستاذ الفضيل الورتلاني من أعظم رجال الجمعية ومن مشاهير مناضليها المخلصين[22]،وهكذا بدأ نشاطه من خلال الدعوة والإصلاح في عقد الاجتماعات ولقاء مع أبناء المجتمع الجزائري في المدن والريف بصفته مساعدا للإمام عبد الحميد بن باديس في التدريس، فكان ذلك من أجل إخراجهم من حالة الخمول التي جاؤوا عليها[23]، والإضافة إلى ذلك ظهر نشاطه الوطني من خلال دروسه، وذلك بدفع طلبته إلى العمل الجاد، عن طريق تعميق حب الله و الوطن في نفوسهم[24]، موضحا ماضي تاريخ الجزائر و حق هذا الشعب في الحياة الكريمة.

كما أنه كان يلفت أنظارهم إلى أمجاد الأمة الإسلامية، ويحبب إليهم اللغة الوطنية، لغة القرآن الكريم [25]، هكذا كان الأستاذ الفضيل الورتلاني يبني عقول طلبته بالعلم النافع ويغذي نفوسهم بالقيم الأصيلة[26].

وبهذا استطاع الفضيل الورتلاني أن يتقمص روح الإمام في شخصيته ويحمل لواء الدعوة بعزيمة قوية ويهدف إلى تحرير الأمة من الجهل والجمود والاستعمار[27]، ويعتمد الورتلاني في تدريسه على الأساليب الجذابة التي تحتجز الأذهان، وذلك بتقديم الأمثال من الواقع وتوضيح المسائل ببيان يزيل الغموض،وفي هذا يشير أحد تلامذته إلى طريقة

أستاذه الفضيل الورتلاني في التدريس فيقول: "... **ما عرفت الإيمان، ولا الإخلاص ولا تصورت مدلولها إلا بعد أن تلقيت درسين فيهما على يد الأستاذ الشيخ الفضيل الورتلاني رحمه الله، كانت ألفاظه تخرج من فمه أشعة هادئة حينا، و هزات عنيفة مزلزلة حينا، فتتخذ طريقها دون استئذان إلى قلوبنا حيث تصير معاني سامية نفهمها بكل دقة وتفصيل وإن لم نكن نقوى على تصويرها وإبانتها** ..."[28].

1-ب /نشاطه في المجال الصحفي:

إن نشاط الفضيل الورتلاني في مجال الصحافة قد بدأ عندما اكتشف فيه الإمام المصلح عبد الحميد ابن باديس ما يمتاز به عن أقرانه من فصاحة اللسان، وقوة الحجة، والشجاعة والجرأة[29]، فبرز صحفيا ومصلحا وداعيا[30]،كما كلفه أستاذه عبد الحميد بن باديس بتمثيل مجلة (الشهاب)[31]، والتنقل باسمها بين أرجاء مدن القبائل الصغرى عام 1932م[32]،وكانت كتاباته التي عرضها في مجلة الشهاب تتمثل في معالجة القضايا الإصلاحية والاجتماعية والسياسية والوطنية[33]، ولا سيما أثره الذي ظهر من خلال المقالات والبحوث التي كانت تتوج رحلاته، والتي ينشرها في الشهاب والبصائر[34]، بإمضاء (الفتى القبائلي) والتي ظهرت فيهما دعوته الجهادية ضد الاستعمار الفرنسي [35].

كما أشار الشيخ الورتلاني في مقال بعنوان (محنة اللغة في الجزائر) قائلا:"... **إن اللغة العربية مظهر مقدس من مظاهر كرامة الأمة التي تحترم نفسها وعنوان مجدها ووجودها ولا يجوز أن يقل اعتبار اللغة العربية في مجال الكرامة من اعتبار العلم والنشيد الوطنيين** ..."[36].

وقد نشر الفضيل الورتلاني مقال آخر بعنوان (**جمعية التهذيب في باريس تنهض بالمسلمين**)، ودعا من خلاله إلى ما يجب القيام به إزاء الجاليات الإسلامية في أوروبا للتعريف بالدين الإسلامي،كما كتب الفضيل الورتلاني مقالات و ألقى خطابات مساندة للقضايا الوطنية والقومية في صحف جزائرية وعربية وإسلامية كالقضية

الفلسطينية[37]،ومن مقالاته التي كتب فيها عن فلسطين ما نشرته جريدة (البصائر) بعنوان **"هل يعرف العرب هذه الحقائق عن فلسطين، وأنقذوا الممكن منها قبل نزول الغضب"**، ويتضح من هذا المقال الكثير من الرؤى السياسية الصائبة في فكر الشيخ الورتلاني من أهمها:

- تنبيهه الى أهمية اضطلاع الفلسطينيين بعبء العمل الجهادي.

- وتنبيهه إلى أهمية الحفاظ على الجزء المتبقي من الأراضي الفلسطينية في ايدي أهلها[38]،وهناك نموذج من رسائله التي كتبها إلى صديقه الفلسطيني الأستاذ محمد علي الطاهر "أبو الحسن" وهو لا يزال تائها في البحر أثناء محنته بعد حوادث اليمن 1948م، و فيها يطلب منه التطوع للجهاد في فلسطين [39].

كماأشار الفضيل الورتلاني في مقال له بعنوان" **اقتدوا بخصومكم أيها العرب** " و جاء فيه: "... **لعل أبرز صفة في اليهود وأقواها على نجاح سياستهم العالمية هي المهارة في استغلال الفرص بل وفي خلقها في كثير من الأحيان، فما من حادثة ذات أهمية تقع في جانب من الجوانب الكرة الأرضية إلا وجدتهم أسبق الناس إلى دراستها ومحاولة الاستفادة من آثارها الحسنة والسيئة على السواء، وعلى العكس من ذلك فلعل أبلد الناس في هذا المعنى بالذات هم الحكام العرب...**"[40].

وبفعل هذا النشاط الزاخر تبين أن الورتلاني من أبرز محركي نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين [41].

2- نشاطه الفكري والإصلاحي بفرنسا:

لقد أصبح سعي عبد الحميد بن باديس و جمعية العلماء المسلمين لإصلاح الفرد والمجتمع الجزائري لا يقتصر على الداخل، بل تعداه إلى الخارج، فقد أولى ابن باديس عناية بالغة للمسائل الاجتماعية والدينية والثقافية للجزائريين المهاجرين، بعدما رأى حجم الخطر الذي يسلخها من الأمة الجزائرية [42]،فوقع اختيار الإمام ابن باديس للقيام بهذه

المهمة الشاقة على تلميذه وابنه الروحي الشيخ الفضيل الورتلاني[43]، نظرا لشجاعته الأدبية و مواهبه الفطرية و المكتسبة في التبليغ والإقناع و فصاحة اللسان [44]، و في منتصف عام 1936م رحل الشيخ الفضيل إلى باريس بأمر من الشيخ ابن باديس هادفا لتوعية المهاجريين الجزائريين، ونشر التربية الإسلامية كمندوب عن جمعية العلماء[45].

و كتب في ذلك الشيخ البشير الإبراهيمي يقول: "... **جاوز البحر سنة 1936م بموافقة من الأستاذ ومني ليرد على الضالين من أبناء قومه هداية الإسلام، و ليرد على الناشئين هناك من أبنائهم ما أضاعه الوسط من دين ولغة، و ليزرع في قلوب الآباء والأبناء معاجب الدين والجنس واللغة و الوطن، و ليعيد إلى الجزائر بذلك كله قلوب تنكرت لها، وأفئدة هوت إلى غيرها...**"[46].

2-أ/ إنشاء نوادي التهذيب:

في جويلية 1936م نزل الورتلاني بباريس، فشرع في الاتصال بالعمال الجزائريين و كانت كما قال : "... **درس النفوس واختيار الأفكار باستنطاق من اجتمعت بهم على طرق مختلفة، وبلغات متعددة، ولهجات متفاوتة...** "[47]، فسرعان ما استجابوا لدعوته لتأسيس مشروع جدي نافع و سرعان ما كونوا عدة نوادي" [48]،وهذا ما ذكره هو نفسه في مجلة الشهاب برسالة إلى صديقه الشيخ باعزيز بن عمر جاء فيها قال: "... **فأسسنا أولا جمعية كبرى تحت اسم جمعية نادي التهذيب لباريس وضواحيها، وضمنا قانونها الأساسي مادة تبيح لنا أن نؤسس فروعا في أي ناحية شئنا، و التنقل من مكان إلى مكان** ... "[49]، إذ أن إبلاغ الدعوة الإصلاحية إلى جماهير العمال في فرنسا لم يكن بالأمر الهين، لكن الشيخ الورتلاني بعزيمته المعهودة وإخلاصه للرسالة الملقاة على عاتقه، استطاع أن يتغلب على كل العقبات[50].

فتمكن في ظرف سنتين من إحداث نحو 30 مركزا للدعوة الإسلامية، والربط بين جميع الجاليات العربية والإسلامية، وبعث فيهم روح العزة الإسلامية[51]، وهكذا كان

الشيخ الفضيل الورتلاني لا يمل بل يدعو كل مسلم جزائري أن يهتم بتنمية هذه الحركة التي تصبو لغرس الإسلام في قلوب مائتي ألف مسلم [52]،كما شمل النادي قاعة للمحاضرات وأخرى للصلاة وغرف للنوم، إضافة إلى غرف خاصة للتعليم[53].

2-ب/ نشاطه في المجال التعليمي:

لقد كانت نوادي التهذيب" تقدم التعليم لصنفين من المتعلمين :

الصنف الأول: هم أبناء العمال الجزائريين،**والصنف الثاني:** فهم الآباء من عمال وعاطلين إذ شملت الدروس القراءة وكتابة ومبادئ اللغة العربية والدين الإسلامي، إضافة للمواد الجديدة التي أضيفت لبرنامج التعليم كالتاريخ والجغرافيا والموسيقى والمسرح والرياضة ومبادئ الأخلاق والحس الوطني [54]،وبهذا أصبحت النوادي بمثابة مدارس حقيقية تستقبل متعلمين من مختلف الأعمار، وهي ليست مفتوحة للجزائريين فقط، بل هي مفتوحة لكل المسلمين دون استثناءوخاصة الشمال إفريقيين [55].

2-ج/نشاطه في مجال الوعظ والإرشاد:

لم يقتصر نشاط الورتلاني على دروس التعليم، وإنما اهتم بدروس الوعظ والإرشاد وكان يقوم بزيارات مستمرة في كل نادي[56]، ويعطي الكثير من التوجيهات وكانت في المجال الديني والاجتماعي والأخلاقي، كما كان يساهم في تنشيطها إلى جانب الشيخ الورتلاني أعضاء بعثة جمعية العلماء المسلمين[57]،ويقول محمد صالح الصديق من خلال كتابه (أعلام من المغرب العربي) على الفضيل الورتلاني: "... **أنه ألقى خطابا ذات يوم في حشود من أبناء الجزائر بفرنسا سحر القلوب، وخلب الألباب، ... إلا أن الخطابة كانت أحد العناصر الأولية البارزة التي بلغ بها الفضيل في فرنسا وحقق بها نجاحا باهرا في مختلف الأوساط...**"[58] .

بعدما نمت الحركة وتوسعت كتب الفضيل الورتلائي إلى جمعية العلماء طالبا منها أن تشد أزره ببعض رجالها[59]، فأمدته الجمعية أولا بالشيخ سعيد صالحي[60]،فالتحق الشيخ

سعيد بزميله وتعاونا معا على تغذية الحركة فكثر عدد النوادي الجزائرية في باريس، ليلتحق بهم آخرين من رجالات الجمعية أمثال محمد الصالح بن عتيق والشيخ محمد الزاهي الميلي والشيخ سعيد البياني [61]،كما ساهم في تنشيط هاته النوادي شخصيات إسلامية من المشرق العربي نذكر منهم الشيخ عبد الرحمن تاج، والشيخ محمد عبد الله دراز، وهما من علماء مصر، والأستاذ عمر بهاء الأميري والشيخ محمد المبارك من سوريا،كما امتد العمل الإرشادي للعلماء إلى فضاءات أخرى خارج نوادي التهذيب فقد طلب الشيخ الفضيل الورتلاني من طرف "جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا" للمشاركة في برنامج (حديث الإثنين)، والتي اهتم فيها الشيخ الورتلاني بافتتاحه سلسلة من المواضيع التي كلف بإلقائها بمحاضرة حول "**المدينة الغربية والإسلام**"، ونشرت جريدة البصائر قائمة المواضيع في غاية الأهمية التي طلب منه معالجتها وهي:" الإسلام والرق، الإسلام والمرأة، الإسلام والحرب"[62].

2–د/نشاطه في مجال إحياء المناسبات الدينية:

اهتمت نوادي التهذيب في فرنسا على إحياء بعض المناسبات الدينية، مثل عيد الفطر والذي كان أول احتفال أقامته جمعية التهذيب بباريس في أواخر 1936م ووصف الشيخ الورتلاني هذا الاحتفال بمقال كتبه في جريدة البصائر بقوله: "... **لأول مرة فيما أعلم يتاح لباريس الزاهرة عاصمة العلم أن تسمع اثني عشر خطيبا باللغة القحطانية الساحرة من أبناء جمعية العلماء ومن تلاميذ جمعية التهذيب والتي هي بالحقيقة جزءا منها**"[63]،كما ألقى الشيخ الورتلاني في مناسبة أخرى يوم 23 ماي 1937م خطابا أشار فيه بقوله: "... **إنه يهدف إلى دعوة المسلمين الذين يعيشون بعيدا عن أوطانه إلى التمسك بالدين والحفاظ على تقليد أجدادهم** "[64].

ولقد شارك الشيخ الورتلاني أيضا في نشاطات الجمعية الفرنسية الإسلامية للصداقة والثقافة والتعاون، والتي حضرها في 02 أفريل 1938م خلال اجتماع عقدته هذه

الجمعية وفيه تكلم الشيخ الورتلاني عن وضع الجزائر ومعاناة شعبها من كل الجهات من طرف المستعمر[65]، وفي شهر ماي 1939 أقام نادي التهذيب احتفالا بذكرى المولد النبوي الشريف، وكانت جميع الخطابات حول حياة الرسول صلى الله عليه وسلم [66].

2-هـ/نشاطه في المجال الإعلامي:

حضر الشيخ الورتلاني العديد من المؤتمرات والندوات الدولية التي دعيت جمعية العلماء للمشاركة فيها ، فقد كانت من خطبه المشهورة الخطاب الذي ألقاه في المؤتمر الدولي الأول للكتاب الأحرار المنعقد في باريس في جويلية 1937م، والتي قدم فيها محاضرة انتقد فيها السياسة الفرنسية في الجزائر لمحاربتها وسائل العلم الثلاث:الصحافة و المدارس والمسجد وخلالها قال الورتلاني :"... **تمنعنا الإدارة من فتح المدارس الحرة على نفقتنا لتعليم اللغة العربية** "[67].

كما كان له حضور في المؤتمر الدولي الثاني للكتاب الأحرار، والذي انعقد في أيام (22-23-24 جويلية 1938م)، والذي ألقى فيه الورتلاني خطابا باسم جمعية العلماء شرح فيه وضع الجزائر ومطالب شعبها، ودعا الأحرار إلى مناصرة كل الشعوب المظلومة من دون تمييز كالشعب الفلسطيني، وفي هذا المحفل الكبير أبان الورتلاني عن مبادئ الإسلام وتسامحه [68].

والحق أن شخصية الورتلاني كان لها دور كبير في رفع صوت الجمعية وفتح آفاق لها خارج الجزائر ، في باريس وفيما بعد في المشرق العربي والإسلامي فإنه نابغة حين يخطب، وفارس حين يعتلي المنابر، يثير الخواطر، ويشد إليه مشاعر وأحاسيس سامعيه [69].

ففي أواخر سنة 1937م قام بزيارة إلى الجزائر استغرقت عدة شهور ، والتي ألقى خلالها عشرات الخطب ، حيث تحدث في خطبة عن سير نوادي التهذيب بفرنسا والأعمال التي قامت بها في ظرف سنة،وبهذا قد خصصت جريدة " البصائر" افتتاحية أحد أعدادها لوصف حفل كبير أقامه شباب المؤتمر الإسلامي بنادي الترقي[70] يوم 17

ستمبر 1937م،حيث ألقى الفضيل الورتلاني خطابا مطولا عرض فيه الأعمال التي قام بها هو وزملاؤه في باريس[71].

وخلال زيارته هذه ألقى خطابا في 27 سبتمبر عام 1937م، وفي الحفل الذي أقيم بمناسبة افتتاح مدرسة "دار الحديث" بتلمسان، ولقد كان خطابا مهما، أوضح فيه بما أتم من الأعمال العلمية على يد رجال جمعية علماء في فرنسا وكيفية إنقاذهم لحركة المهجرين الجزائريين من الضياع ومسخ شخصيتهم العربية والإسلامية[72]،كما خطب الشيخ الورتلاني في حفل كبير بقسنطينة أقامته على شرفه مدرسة التربية والتعليم، وزار كذلك الورتلاني بعض مناطق الجنوب، فتوجه أولا إلى بسكرة فألقى محاضرة فيها بحضور سبعة آلاف شخص حسب جريدة "الدفاع" ثم انتقل إلى وادي سوف في يوم 25جانفي 1938م[73]،وبعد زيارته إلى الجزائر والتي دامت ما يقرب خمسة أشهر والتي كانت حافلة بالنشاط والعمل والتنقل، عبر الورتلاني البحر عائدا إلى فرنسا ليواصل نشاطه في فرنسا بجد وثبات، وبقي ينشر رسالته الدينية والوطنية في أواسط الجالية الإسلامية[74]، فنجح بذلك الشيخ الفضيل الورتلاني وزملاؤه نجاحا عظيما في لم شمل المهاجرين الجزائريين في ديار الغربة، وإيقاظهم من سباتهم، وتوجيههم إلى العمل المفيد لهم ولأسرهم ووطنهم.

3- الشيخ الفضيل الورتلاني ودوره في دعم الثورة الجزائرية : كان الورتلاني في حياته النضالية كلها، ثورة على الجهل والتخلف وظلم الاستعمار إلا أنه كان يدعو المسلمين في كل مكان إلى اليقظة والوحدة والكفاح من أجل التحرر، فلقد كان يبتهج لكل عمل وكل ثورة تقوم في أطراف العالم الإسلامي، ضد المستعمر أو ضد الأنظمة الفاسدة [75]،فلقد كان قلمه ولسانه نارين على المستعمر الغاشم وفضحه أمام الرأي العام العربي والإسلامي والعالمي، ولأجل قضية الجزائر سافر الورتلائي للعديد من البلدان فربط علاقات مع رجال العلم والفكر وربط صلة قوية مع بعض السياسيين نذكر منهم "الحبيب بورقيبة" رئيس تونس في تلك الفترة ،و"محمد خيذر" مندوب حزب الشعب الجزائري وغيرها[76].

وبقي الورتلاني يواصل جهاده دون فتور أو ملل، وما أن اندلعت الثورة الجزائرية في الفاتح من نوفمبر 1954م، حتى رحب بها الفضيل الورتلاني[77]، وسارع بتأييدها والتبشير بها مجندا قلمه ولسانه لخدمتها، فكان يشرح حقائق تلك الثورة المباركة التي يخوضها الشعب الجزائري، بأسلحة بسيطة لكن بإيمان وصبر قويين[78]،ويعد الورتلاني من أوائل رجال جمعية العلماء الذين أيدوا الثورة ببيانات منشورة، إذ وبعد يوم واحد فقط من اندلاعها، أصدر مكتب الجمعية بالقاهرة بيانا يؤيد فيه الثورة بإمضاء الورتلاني والابراهيمي ،وفي 03 نوفمبر 1954م اصدر الورتلاني بيانا أخر في الجرائد المصرية وغيرها نشرته البصائر جاء فيه: "...إلي الثائرين من أبناء الجزائر اليوم حياة أو موت، بقاء أو فناء، حياكم الله أيها الثائرون الأبطال، وبارك في جهادكم وأمدكم بنصره وتوفيقه، وكتب ميتكم في الشهداء الأبرار، وحيكم في عباده الأحرار، لقد أثبتم بثورتكم المقدسة هذه عدة حقائق، أيها الأحرار الجزائريون، أيها المكافحون في جميع أقطار المغرب العربي، اعلموا أن الجهاد للخلاص من هذا الاستعباد قد أصبح اليوم واجبا عاما مقدسا ، فرضه عليكم دينكم، وفرضته قوميتكم، وفرضته رجولتكم لأنكم اليوم أمام أمرين: إما الحياة أو الموت، إما بقاء كريم أو فناء شريف"[79]،وقد عين الأستاذ الفضيل الورتلاني ابتداء من سنة 1955م عضوا قياديا بمكتب جبهة التحرير الوطني بالقاهرة، ثم انتدبته في 1958م ممثلا لها بتركيا، فاستطاع بفضل إخلاصه ونشاطه الدؤوب، أن يحدث تحولا ملموسا في موقف الحكومة التركية تجاه الثورة الجزائرية ومهد بذلك لإقناع تركيا – العضوة في الحلف الأطلسي– بعدالة القضية الجزائرية[80].

خاتمة: ومن خلال ما تطرقنا إليه سالفا يمكننا استخلاص مجموعة من الاستنتاجات يمكن إيجازها فيما يلي:

–تعتبر شخصية الشيخ الفضيل الورتلاني من بين الشخصيات الإصلاحية بالجزائر وخارجها خلال النصف الأول من القرن العشرين.

– عمل الشيخ الفضيل الورتلاني على ممارسة نشاطه الإصلاحي والفكري من داخل الجزائر وخارجها إذ نجد انه عمل على بث أفكاره الإصلاحية وسعى جاهدا إلى ترسيخ معنى الوطنية والإسلام والعروبة في نفوس المهاجرين الجزائريين خاصة والمسلمين عامة بفرنسا.

–عمل الفضيل الورتلاني على محاولة تمرير أفكاره الإصلاحية ومساعيه الفكرية من خلال مقالاته وخطاباته ودروسه ،والتي تعتبر زادا لأبناء الجزائر في معرفتهم لحقيقة المستعمر من جهة، وتجلي الصورة الحقيقية للوطن والوطنية من جهة أخرى.

–ترك الشيخ الفضيل الورتلاني العديد من الأفكار الإصلاحية ذات البعد السياسي والثوري، والتي تجلت فيما وجد من مقالات معالجة للقضايا الإصلاحية، والاجتماعية والسياسية والوطنية بجريدة الشهاب التي نصبه الشيخ عبد الحميد بن باديس ممثلا لها ،أو فيما نشرته جريدة البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين،وكذلك ماوجد من محتوى لخطابات ودروس كانت تلقى وتدرس بنوادي التهذيب بفرنسا ، وغير ذلك من المنابر التي استعملها الشيخ الفضيل الورتلاني لبعث روح وتعاليم الدين الإسلامي وابراز معنى الوطنية الحقة و مثال ذلك ماجمع له كمؤلف تحت عنوان: **الجزائر الثائرة**.

– عمل الشيخ الفضيل الورتلاني على دعم وتدويل القضية الجزائرية من خلال مشاركاته في العديد من المؤتمرات الدولية كممثل لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين،ليتضح ذلك في دعمه للثورة الجزائرية بعد اندلاعها من خلال بيان المساندة الذي امضاه رفقة الشيخ البشيرالابراهيمي بمكتب الجمعية بالقاهرة ،وكذلك نداءه للثوار يوم 1954/11/03م،ومساهمته في تأسيس مكتب جبهة التحرير الوطني بالقاهرة في 1955/02/17م.

– عمل الشيخ الفضيل الورتلاني على الاهتمام بالقضايا القومية والعربية رغم انشغاله بقضية وطنه،وخير مثال على ذلك كتاباته المساندة للقضية الفلسطينية في صحف جزائرية وعربية وإسلامية .

-استطاع الشيخ الفضيل الورتلاني تكوين رصيد معرفي وفكر إصلاحي من خلال ملازمته لرجالات جمعية العلماء المسلمين وعلى رأسهم الشيخ عبد الحميد بن باديس،ضف إلى ذلك رغبته الصريحة في تكوين جيل ذو وعي سياسي و إرادة فذة تمكنه من مواجهة المستعمر الفرنسي على جميع الأصعدة ونيل حريته كاملة ، وهذا ما جعله يسعى إلى ذلك من خلال خطبه ودروسه ومقالاته المنادية بذلك ،وهنا نستطيع القول ان الشيخ الفضيل الورتلاني نجح في غرس أفكاره الإصلاحية في العديد من الشباب الجزائريين داخل الوطن وخارجه ولعل ابرز مثال على ذلك نشاطاته المتميزة بفرنسا والتي استطاعت اكساب الجالية المسلمة هناك درعا دينا وفكرا توعويا، تستطيع من خلاله هاته الفئة الحفاظ على مقوماتها العربية الإسلامية بعيدا عن أساليب فرنسا الإدماجية.

الهوامش:

[1] فضيل الورتلاني، **الجزائر الثائرة**، دار الهدى ، عين مليلة، الجزائر ، 2009م، ص 36.

[2] سعيد بورنان ، **الشيخ الفضيل الورتلاني الثائر** ، ط2 ، دار هومة ، الجزائر ، 2014م، ص 31.

[3] محمد صالح الصديق، **أعلام من المغرب العربي**، ج2، ب ط ، موفم للنشر، الجزائر ، 2000م ، ص 84.

[4] سعيد بورنان، **نشاط جمعية علماء المسلمين الجزائريين بفرنسا(1936/1956م)** ، ب ط ، دار هومة ، الجزائر، 2001، ص 102.

[5] صلاح مؤيد العقبي، **الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها**،ج1، ب ط، دار البرق، بيروت، 2002م،ص804.

[6] بوعلام بلقاسمي، **موسوعة اعلام الجزائر اثناء الثورة**، ط خ، وزارة المجاهدين، الجزائر،2007م ، ص90.

[7] موسى حميش، **الشيخ الفضيل الورتلاني (المصلح المجاهد)**، (د.ت.ن) ، دار بغدادي للطباعة والنشر ، الجزائر ، ص09.

[8] بن عمر باعزيز، **الاستاذ الفضيل الورتلاني بمناسبة جولته الاخيرة في اقطار المشرق العربي**، جريدة البصائر العدد 8،1 سبتمبر 1947م ، ص ص 63، 64.

[9] موسى حميش،مصدرالسابق،ص09.

[10] محمد صادح الصديق، مرجع سابق، ص 605.

[11] سعيد بورنان، **نشاط جمعية علماء المسلمين الجزائريين**... ، مرجع السابق ص 102.

[12] لخضر سيفر، **شخصيات جزائرية**، ط1 دار الامل ، 2007 الجزائر، ص 107.

[13] بوعلام بلقاسمي، مرجع سابق، ص 610.

[14] محمد صالح الصديق، مرجع سابق، ص 610.

[15] يسلي مقراني، **الحركة الدينية والاصلاحية في منطقة القبائل (1920–1945)**، دار الامل ، الجزائر ، 2007م ، ص262.

[16] جامع الزيتونة: تم تأسيسه عام 114هـ/732م وبناه الوالي عبد بن الحباب واتم بنائه ابو العباس بن الاغلب فاصبح منذ اتمامه مركز للعلم والدروس، ثم اعطى لقب الجامعة واصبح يشتمل على كلية العلوم الشرعية وكلية الفقه والآداب، وأصبح الطلاب يوفدون اليه من مختلف الاقطار العربية، انظر:محمد الخضر حسين، **تونس وجامع الزيتونة**، تونس، ص22.

[17] سعيد بورنان، **الشيخ الفضيل الورتلاني الثائر**... ، مرجع سابق، ص37.

[18] احمد طالب الابراهيمي، **آثار الامام البشير الابراهيمي (1940/1952م)**، ج2، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1997م ص 329.

[19] محمد الصالح الصديق، مرجع سابق ، ص 635.

[20] بوعلام بلقاسمي،مرجع سابق،ص ص37- 94.

[21] سعيدبورنان،ا **الشيخ الفضيل الورتلاني الثائر**... ، مرجع سابق،ص161.

[22] الفضيل الورتلاني،مصدر سابق، ص 21.

[23] سعيد بورنان، **الشيخ الفضيل الورتلاني الثائر**... ،مرجع سابق، ص40.

[24] محمد صالح الصديق،مرجع سابق، ص611.

[25] نفسه، ص615.

[26] سعيد بورنان،**الشيخ الفضيل الورتلاني الثائر** ...، مرجع سابق، ص48.

[27] محمد صالح الصديق ،مرجع سابق ، ص615.

[28] سعيد بورنان، **الشيخ الفضيل الورتلاني الثائر** ...، مرجع سابق، ص45.

[29] محمد صالح الصديق ، مرجع سابق، ص609.

[30] ثعبان حسب الله علوان الشمري،**واجهات الفكر الدعوي الإصلاحي للشيخ الفضيل الورتلاني**، مجلة كلية التربية الأساسية، م 20، العدد82، ص483.

[31] الشهاب : هي صحيفة أصدرها الشيخ عبد الحميد بن باديس عام 1925م، وكانت أسبوعية ثم أصبحت مجلة شهرية عام 1929م، ولقد كتب فيها الشيخ ابن باديس الكثير من خطاباته و أفكاره الإصلاحية وأصبحت هذه المجلة معبرة عن لسان حال الجمعية علماء المسلمين الجزائريين بعد ان ترأسها الشيخ عام 1931م حتى وفاته 1940م، وتعد مجلة الشهاب من اهم المصادر التي يؤرخ للنهضة الفكرية الحديثة في الجزائر ما بين الحربين و تعتبر مجلة وطنية

إصلاحية، أنظر : زهير أحدادن،**الصحافة الإسلامية الجزائرية من بدايتها الى سنة 1930م**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص39.

[32]سعيد بورنان، **الشيخ الفضيل الورتلاني الثائر** ... ، مرجع سابق، ص ص 41-42.

[33]الفضيل الورتلاني،**رحلات رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في عمالة قسنطينة**، مجلة الشهاب، الجزائر، مج 10، ج6، السنة10، جويلية 1934م، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2001، ص270.

[34]**البصائر**: تعتبر البصائر الصحيفة الرابعة التي أصدرتها جمعية العلماء المسلمين و من اهم اكبر الصحف العربية في الجزائر شهرة و انتشارا ، ويمكن الإشارة الى أن البصائر ظهرت على مرتين : السلسلة الأولى صدرت ما بن (1935-1939م)، اما السلسلة الثانية فقد ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية مل بين (1947-1956م)، و أصبحت تصدر في مدينة قسنطينة بداية سبتمبر 1937م و تطبع بالمطبعة الاسلامية الجزائرية، يشرف على ادارتها و رئاستها مبارك الميلي، ولقد اهتمت الحركة الإصلاحية في مجالي الدين والمجتمع، أنظر: محمد بن ناصر،**الصحف العربية بالجزائر من 1847-1954م**، ط2، الصنوبر البحري، 2006م، ص212.

[35]سعيد بورنان، **الشيخ الفضيل الورتلاني الثائر** ... ، مرجع سابق، ص43.

[36]الفضيل الورتلاني،**الجزائر الثائرة**...، مصدر سابق، ص30.

[37]نفسه،ص19.

[38] سعيد بورنان،**الشيخ الفضيل الورتلاني الثائر**...، مرجع سابق، ص147.

[39]نفسه، ص163.

[40]الفضيل الورتلاني،**الجزائر الثائرة**..، مصدر سابق، ص89.

[41]لخضر سيفر،مرجع سابق، ص ص 111 ،112.

[42]زهير بن علي،**قضايا المرأة ضمن اهتمامات الحركة الإصلاحية الجزائرية (1925-1954م)**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، أشراف سليمان قريري، قسم العلوم الإنسانية، شعبة التاريخ، جامعة باتنة، 2014-2015م، ص207.

[43]محمد صالح الصديق، مرجع سابق، ص616.

[44]أحمد عصماني،**الشيخ الفضيل الورتلاني: صولات وصهوات**، جريدة البصائر، العدد 695، 16 مارس 2014م، ص11.

[45]يحي بوعزيز،**أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة**،ج1 ، ط1، دار الغرب الاسلامي، 1995م، ص177.

[46]سعيد بورنان،**نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بفرنسا**...،مرجع سابق،ص107.

[47]سعيد بونان، **الشيخ الفضيل الورتلاني الثائر**... ، مرجع سابق، ص53.

[48]مولود عويمر، **تراث الحركة الاصلاحية الجزائرية**، ج1. ط1، دار قرطبة للنشر والتوزيع، تلمسان، 2011م ، ص164.

[49]الفضيل الورتلاني،**الشباب العامل في باريس**، مجلة الشهاب، ج9، مج10، 12 ديسمبر1939م، ص416.

[50]نفسه، ص416.

[51]محمد الاكحل شرفاء، **رجال النضال الاسلامي الصامد الاستاذ الجليل الفضيل الورتلاني**، جريدة البصائر ، العدد358 ، 16 مارس 1956م ، ص2.

[52]الفضيل الورتلاني،**جمعية التهذيب وعيد الفطر بباريس**، جريدة البصائر ، العدد49، 01 جانفي 1937م، ص08.

[53]سعيد بورنان،**الشيخ الفضيل الورتلاني الثائر**...، مرجع سابق، ص55.

[54]نفسه، ص57.

[55]سعيد بورنان، **نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بفرنسا**...،مرجع سابق، ص86.

[56]ثعبان حسب الله علوان المشري ، مرجع سابق، ص486.

[57] سعيد بورنان، **الشيخ الفضيل الورتلاني الثائر**...، مرجع سابق، ص57.

[58]محمد صالح الصديق ، مرجع سابق، ص620.

[59]فرحات بن دراجي،**حركة جمعية العلماء المسلمين بباريس**، جريدة البصائر ، العدد64، 01 جانفي 1937م، ص08.

[60]سعيد صالحي: ولد في سنة 1902م بولاية سطيف، تعلم القرآن والكتابة وحفظ القرآن الكريم وهو في سن 11 من عمره ، قاد الشيخ سعيد صالحي الحركة الاصلاحية في بني يعلى، فأسس "نادي الشباب " ومدرسة الاصلاح في فترات انتدبته ج ع م ج للعمل ضمن حركتها في باريس قبل ح ع 2 واعتقل اثناء الحرب لمدة سنتين (1941-1943) كما سجن اثرى حوادث 08 ماي 1945م، ولما اطلق سراحه في 1946م ، وضع تحت الاقامة الجبرية بعين الدفلى،، توفي يوم 25 جويلية 1986م انظر:سعيد بورنان،**نشاط الجمعية العلماء المسلمين في فرنسا (1936-1956م** ...، مرجع سابق، ص ص112-113.

[61]نفسه، ص81.

[62] بن عمر باعزيز ، **اهتمامات جمعية العلماء المسلمين بالحركة التهذيبية في باريس**، جريدة البصائر ، العدد103، 11 مارس1938، ص02.

[63] سعيد بورنان، **نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بفرنسا**...، مرجع سابق، ص88.

[64]نفسه، ص89.

[65]سعيد بورنان، **الشيخ الفضيل الورتلاني الثائر**...، مرجع سابق، ص63.

[66]محمد الطاهر الورتلاني،**احتفالات بالمولد الشريف بنادي الشباب**، جريدة البصائر ،العدد167، 26 ماي 1939م ، ص 218.

[67]سعيد بورنان، **الشيخ الفضيل الورتلاني الثائر**...، مرجع سابق، ص65.

[68]بلقاسم بن عمار،**انعقاد المؤتمر العالمي الثاني في باريس وتمثيل جمعية العلماء فيه**، جريدة البصائر، العدد 127، السنة الثالثة، 19 اوت 1938، ص ص 304-306.

[69]سعيد بورنان، **نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بفرنسا**...، مرجع سابق، ص98.

[70]**نادي الترقي**: تأسس في 03 جويلية 1927 م بالجزائر تحول في عام 1931م الى مقر جمعية العلماء المسلمين ،ويعتبر نادي الترقي النواة الاولى لجمعية العلماء وكذلك كونه مقر يتم فيه عقد الندوات و اقامة الاحتفالات ويعتبر من الهيئات التي ساهمت في دعم حركة التعليم العربي "الحر"، و اول محاضرة القيت فيه كانت من طرف الشيخ عبد الحميد بن باديس بعنوان (الاجتماع والنوادي عند العرب)،وغيرها من المحاضرات والدروس الحية في شتى الموضوعات الدينية والاجتماعية والوطنية ،انظر: مازن صلاح حامد مطبقاني،**جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية (1931م_1939م)**، بحث مقدم لنيل رسالة الماجستير، جامعة الملك عبد العزيز، كلية الأدب والعلوم الانسانية قسم التاريخ ،1984 _1985، ص 95.

[71]سعيد بورنان،**الشيخ الشيخ الفضيل الورتلاني الثائر**...، مرجع سابق، ص95.

[72]مصطفى بن حلوش،**الاحتفال الرائع بمدرسة الحديث بتلمسان**، مجلة الشهاب، الجزائر، مج13، ج8، 1937م، ص355.

[73]سعيد بورنان، **نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بفرنسا**...، مرجع سابق، ص111.

[74]سعيد بورنان، **الشيخ الفضيل الورتلاني الثائر**...، مرجع سابق، ص79.

[75]الفضيل الورتلاني،**الجزائر الثائرة**...، مصدر سابق، ص170.

[76]لخضر سيفر، مرجع سابق، ص ص 118-119.

[77]مولود عويمر،**نظرات في مسار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين**، جريدة البصائر ، العدد806، 08 ماي 2016م، ص10.

[78]سعيد بورنان، **نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بفرنسا**...، مرجع سابق، ص105.

[79]الفضيل الورتلاني،**الجزائر الثائرة**...، مصدر سابق، ص ص 170-171.

[80]سعيد بورنان، **نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بفرنسا**...، مرجع سابق، ص105.